مجلة المرابط

العدد : ١٨٥ الموافق في رجـــب ١٤١٧ هجري ١٢ / ١٩٩٦ ميلادي

مؤتمر القاهرة الاقتصادي : خلفيات وأهداف	بقلم : متولي موسى

أولاً : فكرة عن انعقاد المؤتمر :

انعقد المؤتمر الاقتصادي الثالث في موعده بالعاصمة المصرية ، في الوقت الذي يقدِّر فيه بعض المحللين أن « القمة الاقتصادية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا » فقدت زخمها والاهتمام الذي صاحبها في الدار البيضاء وعمان ، نظراً لتبدل الأوضاع بعد وصول حكومة نتنياهو إلى حكم « الكيان الصهيوني » ، ويصف بعضهم ذلك بقوله « لقد تحولت القمة الاقتصادية إلى مجرد منتدى لرجال الأعمال » ، ولقد ظهرت حقيقة ذلك على أرض الواقع فقد تحولت المشروعات الإقليمية الطموحة ، التي عرضت في الدار البيضاء ، إلى مجرد صفقات اقتصادية محدودة في مؤتمر القاهرة الاقتصادي...!

ولقد طُرحت قبل انعقاد المؤتمر مقترحات عدة منها : المطالبة بإلغائه أو تأجيل عقده إلى الربيع المقبل ، أملاً في وجود مناخ سياسي أفضل ، نظراً للربط المباشر بين التطبيع من خلال المشروعات الاقتصادية والتقدم في ما سمي « المسيرة السلمية » ، كما طرحت أفكار بنقل المؤتمر إلى منطقة أخرى حتى يسهل لقاء العرب مع الصهاينة واليهود... ، ولكن القاهرة قررت - بعد عملية حساب الأرباح والخسائر الآنية - عقد المؤتمر في موعده ومكانه دون صيغته الأصلية « مؤتمر قمة » التي عقد بها في الدورتين السابقتين في الدار البيضاء وعمان ، وعلى عكس الصيغة التي نشأ على أساسها هذا المؤتمر الاقتصادي ، وهي « التعاون الاقتصادي الإقليمي في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا » ، أطلقت مصر على المؤتمر اسم « المؤتمر الاقتصادي الثالث لدول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا »...!

أما المحاورات والمداولات التي كانت قبل وأثناء وبعد انعقاد المؤتمر ، فقد ركزت على النجاح والفشل وعلاقة ذلك بوجود نتنياهو في رئاسة حكومة الكيان الصهيوني ، وعدم تطبيق معاهدة أوسلو وتوابعها بشأن الخليل... والنظر إلى المؤتمر بمنظار محدود ، وفي أضيق المجالات.

إن المتتبع لمثل هذه المؤتمرات واللقاءات لا يمكنه أن يعي نتائجها وما ترمي إليه ، إذا لم يدرك الخلفيات والأهداف القريبة والبعيدة للوجود الصهيوني في المنطقة ، وهذا ما سوف أعالجه باختصار شديد في الفقرتين الآتيتين :

ثانياً : خلفيات الوجود الصهيوني

سعت الحركة الصهيونية من زمن بعيد - وساعدها على ذلك الغرب - إلى إقامة كيان صهيوني في فلسطين ، وكانت الخلفيات التي تحكم وجود هذا الكيان في هذه المنطقة ما يلي :

١- **الخلفية الدينية :** كان لا بد من تفتيت هذه المنطقة التي يدين معظم أبنائها بالإسلام ، وذلك لمنع قيام دولة إسلامية موحدة في المنطقة - مستقبلاً - ، فبعد أن فشلت الحروب الصليبية في إقامة دولة نصرانية في فلسطين ، وعجز الاستعمار عن إقامة دولة نصرانية خالصة في جبل لبنان ، كان لا بد من مساعدة الحركة الصهيونية على إقامة دولة يهودية في فلسطين ، وهذا الذي بدأت به بريطانيا في سنة ١٩١٧م ، وانتهى إليه الأمر باعتراف الدول العربية في مؤتمر مدريد سنة ١٩٩١م !!.

٢- **الخلفية الجغرافية :** كان لا بد من إقامة كيان غريب في هذه المنطقة الجغرافية الحساسة ، ذات الموقع الهام ، وخاصة في هذا المفصل القريب من قناة السويس وملتقى القارات ، بعد أن تأمن القرن الإفريقي وضمان استقرار المنطقة بوجود أثيوبيا وتعاونها مع أريتريا في الوقت الحاضر.

٣- **الخلفية الاقتصادية :** لا بد من خضوع المنطقة لهيمنة قوى الاستعمار ، وخاصة بعد أن تأكد أن مخزون الطاقة من النفط والغاز لأكثر من نصف قرن موجود في هذه المنطقة ، وأن توحد المصالح العربية قد يقتضي إصدار قرار ليس في صالح أوروبا وأمريكا ، وما حدث في عام ١٩٧٣م ليس ببعيد !! ولن ينسى الرجل الأوروبي أنه اضطر إلى ترك سيارته وسار على قدميه ، عندما منع العرب ضخ النفط... هذا فضلاً عن أن تعداد ٢٤٠ مليون مستهلك للصناعات الغربية ليس قليلاً ، فهذه المنطقة تعد سوقاً استهلاكية للصناعات الأمريكية والأوروبية لا بأس بها

٤- **الخلفية الأمنية :** كان لا بد من إضعاف القوة العسكرية لهذه المنطقة ، حتى لا يقع تهديد للغرب ، فأوروبا لم تنس ولن تنسى حصار فيينا ، ودخول المسلمين إلى القسطنطينية وجنوب فرنسا والأندلس ، ولم يخف الغرب تخوفه من الإسلام بل إن القادة والساسة يعلنون ذلك بكل وضوح...

٥- **الخلفية العقيدية والثقافية :** لا بد من إبقاء المنطقة خاضعة للغزو الثقافي الأجنبي وتغريب مناهجها ، حتى لا يلتقي أبناء المنطقة على عقيدة الإسلام ،فتوحدهم وتكون لهم قوة دافعة على التأثير ، خاصة أن الغرب وأمريكا يمر بفترة انهيار القيم والتفكك الاجتماعي والتهتك الأخلاقي ، مما شجع على

انتشار الفساد والجريمة وجنوح الشباب... وهناك شعور لدى قسم كبير من المثقفين في الغرب بأن الإسلام هو الدين الوحيد المؤهل لعلاج كل ذلك إذا وجد من يعرضه بطريقة صحيحة وملائمة للعقلية الغربية.

لكل هذه الخلفيات كان لا بد من وجود كيان قوي وقادر مثل الكيان الصهيوني ، تكون له القيادة والهيمنة في منطقة ما سمي « الشرق الأوسط وشمال إفريقيا » ، بحيث تطمس الهوية العربية والإسلامية ، ويساعد هذا الكيان للقيام بدوره « نظام عالمي جديد » تتزعمه وتقوده الولايات المتحدة الأمريكية ، على أن تكون من آليات اختراق المنطقة هذه المؤتمرات الاقتصادية وغيرها...

ثالثاً : أهداف المؤتمرات الاقتصادية

هناك هدف أساسي يسعى الكيان الصهيوني لتحقيقه ، عبّر عنه زعماء الفكر الصهيوني ، فقد طرح ثيودور هرتزل فكرة « كومنولث شرق أوسطي » أما ناحوم جولدن مان فقد كان دائم التحذير من أن إسرائيل لا يمكنها أن تظل معتمدة على السيف وحده ، وأنه لا وجود لها على المدى الطويل إلا إذا ارتبطت بالمنطقة وأقامت جسوراً من التعاون مع العرب ، للخروج من حالة الحصار إلى **الامتداد والاندماج في نظام إقليمي يرسي دعائمه على التعاون الاقتصادي.** كما قدم بن جوريون مشروعاً للشرق أوسطية بحضور بيريز إلى فرنسا وبريطانيا عام ١٩٥٦ . وكذلك قدم أباإيبان مشروعاً عقب حرب ١٩٦٧ لإقامة الشرق أوسطية ، والذي اعتبر من الإشارات الأولى للمشروع الذي يطبق حالياً ، يقوم على أساس إنهاء حالة الحرب بين إسرائيل والعرب ، وتوقيع معاهدة أو معاهدات ، تحدد بدقة تعايش إسرائيل مع جيرانها ، وتكفل لها حرية الملاحة ، وتضمن تطبيع العلاقات ، والاستغلال المشترك لموارد المنطقة... كما راح أباإيبان يؤكد في جنيف عام ١٩٧٤م على فكرته من أن السلام لا يعني وقف إطلاق النار ، وأن الضمان الحقيقي للسلام هو إقامة مصالح مشتركة بين العرب وإسرائيل تتسم بالتنوع والكثافة[1] .

وهذا الهدف الأساسي لا يمكن تحقيقه إلا بتحقيق أهداف مرحلية نذكر هنا منها على عجل ما يأتي :

١- مسخ وتغيير العقلية العربية والإسلامية ، بإقناع أهل المنطقة أن السلام ضرورة عالمية

واستراتيجية ، ولا يمكن للمنطقة أن تتقدم إلا إذا توفر السلام ، بوصفه ليس هدنة مؤقتة بين طرفين تدوم لعدد من السنين ، وإنما يجب أن تختفي فكرة قيام حرب مرة أخرى لأسباب عديدة ، أهمها تفوق الكيان الصهيوني عسكرياً على البلاد العربية جميعها ، وتقدمه في صناعة الأسلحة غير التقليدية...الخ

٢- إشعار العرب والمسلمين أن الأمن الذي تقدمه لهم حكومات الكيان الصهيوني أمر في غاية الأهمية والصعوبة ، فأصبح كثير من المثقفين ورجال الإعلام العرب يتحدثون عن التطبيع وكأنه هدف هام للعرب ، وأصبح تعبير « الهرولة » يستخدم بكل بساطة للتعبير عن تهالك بعض الدول العربية على الكيان الصهيوني ، لتطبيع العلاقات ، وعقد معاهدات وصفقات !!.

والغريب أن الإنسان يحار إذا علم أنه : « رغم مرور أكثر من ٣٠ سنة على صدور قرار إنشاء السوق العربية المشتركة ، فإن هذه السوق لم تقم ، وخلال سنتين فقط كانت الخطى تتسارع لإنشاء الشرق أوسطية ، **ويكشف هذا** عن أنه رغم المحاولات التكاملية في المجال الاقتصادي بين الدول العربية إلا أن الإنجاز المحقق من الناحية الفعلية لم يكن كبيراً »[٢].

٣- اعتبار مؤتمرات القمة الاقتصادية آلية من آليات تحويل الصراع بين العرب والكيان الصهيوني ، إلى مهادنة وتقارب بين الأطراف ، والتعاون الاقتصادي النشط بين الأطراف ، وفي ذلك إزاحة كثير من العقبات - التي تكدر الحياة في الأرض المحتلة - التي تواجه المنطقة.

٤- استخراج جرثومة العداء من قلوب العرب تجاه اليهود ، وتفهيم العرب والمسلمين - كما يريد الصهاينة - أن اليهود شعب محب للسلام ، ويريد التعايش مع العرب ، وكل عدو لمعاهدات السلام هو الذي يعتبر عدواً للنمو الاقتصادي والرخاء ، المطلوب أن يعم المنطقة ، وهذا يتطلب مراجعة العقل المسلم وتصحيح التصور لديه تجاه اليهود ، من خلال مناهج التعليم ووسائل الإعلام.

٥- اتخاذ الأسباب والوسائل لكسر الحاجز النفسي الموجود عند العرب والمسلمين ، بسبب العداء المذكور في كتب التراث ، وإظهار بعض الحالات الإيجابية وتضخيمها ،كأن يتم البحث عن أشخاص يهود على مدار التاريخ كانوا قد قاموا بخدمات للدولة الإسلامية ، والاستفادة من تجربة المملكة المغربية في هذا الشأن ، ومع التركيز على الأدوار التي قام بها ممثلون وممثلات أو مطربون ومطربات يهود...الخ.

وكذلك يركز في المشروعات المعروضة في المؤتمرات الاقتصادية على الفن والسياحة. والأمر يحتاج إلى معالجة أوسع والله الموفق.

الهوامش :

(١) راجع للتوسع في الموضوع كتاب علاء عبد الوهاب ، الشرق الأوسط الجديد ، سنة ١٩٩٥ .

(٢) مصطفى عبد الرازق ، آليات الاختراق الإسرائيلي للمنطقة العربية ، دار الغد للنشر ، القاهرة ، ط١ نوفمبر سنة ١٩٩٦م ، ص ٣١.